

الفصل الثامن عشر

على حافة الموت

– أأذلك تكون عاقبتها؟

قالها مسلمة وأطرق، وقد امتلأ قلبه غمًا وحقداً ومرارة؛ أما الغم فلهذه العاقبة التي انتهت إليها الغزوة العظمى التي كان يُهيئ لها منذ سنين؛ ليلُغ شأنًا لم يبلغ مثله واحدٌ من بني عبد الملك، وأما الحقد فعلى هؤلاء الروم وقيصرهم ذاك الخسيس الذي أذله بالمكر والخديعة، وخذله حين أمن له، ووثق من موذته، وأما المرارة فلأنه ابن امرأة من هذه الروم الغادرة التي لا تحفظ عهدًا، ولا تفي بذمة ... لو كان له أن ينتسب إلى أمٍّ غيرها لأنكر أنها أمه، تلك التي باعدت بينه وبين العرش شائبًا، وحطمت تاج العز على رأسه كهلاً، وتوشك أن تجعل حديثه في هذه الغزاة سُخْرية الساخرين حتى يبلغ سن الموت.

ومدَّ يداً إلى جيبه فأخرج جوهرةً وقلادةً، فتملأهما طويلاً ثم قذفهما إلى البحر، وهو يقول وقد غلبه الدمع: تميمة لم تحفظها صبيّةً من السّباء، ولم تُحرز ولدها كبيراً من الهزيمة!

ثم أطبق راحتيه على وجهه وبكى.

وثاب إلى نفسه بعد هُنيئات، فدعا حاجبه إليه وقال له: قدّم أسارى الروم إلى

السيف.

وبُسِطَت الأنطاع،^١ وقام على رأس كل أسير حَرْيٌّ بسيفه، وأخذت الرءوس تتهاوى عن أجسادها، ومسلمة يشهد، قد اشتفت نفسه مما تجِد ...

^١ الأنطاع: فرشٌ تُبْسَط لتُقطَع عليها رءوس المحكوم عليهم بالموت.